مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 15 العدد1 (السداسي الأول 2023م)
ص.. 827- 846

الفكر الإسلامي في العصر الحديث بين آفة التقليد والدعوة لحرية الفكر

Islamic thought in the modern era between the scourge of imitation and the call for freedom of thought

ط.د سعيد فرج[1]*، أ.د محمد بوطيبي[2]

[1] جامعة يحي فارس، مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور، المدية (الجزائر)
feredj.said@univ-medea.dz

[2] **جامعة يحي فارس، المدية** (الجزائر)
bt.med@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/25 تاريخ القبول: 2022/12/13 تاريخ النشر: 2023/03/30

ملخص:

منح الله عز وجل الفرد المسلم نعمة العقل ليكتشف به أسرار الكون وسننه البسيطة منها والمركبة، فمتى ما أحسن استغلاله ضمن لنفسه الاستمرارية والبقاء والقوة والتمكين في وسط الأمم الأخرى، وبذلك يحقق الخير لنفسه ولمن يحيط به من الإنسانية جمعاء، ومتى ما عطل هذا المكسب أصابه الهوان والضعف والتخلف عن الركب الإنساني السائر دوما في طريق التقدم والتمدن، هذا من جهة ومن جهة أخرى يفقد ذاته الفكرية ويسقط في دوامة التقليد الأعمى لكل ما هو تقليدي أو معروض على الساحة فيستهلك كل المنتوجات الفكرية المطروحة دون مراعاة للذات الثقافية لكل أمة من الأمم، ودون احترام خصوصية كل عصر من العصور، وهذا ما أصاب العالم الإسلامي في العصر الحديث، ووصل إلى حالة أقل ما يقال عنها أنه أصبح رهينة تراث السلف صالحه وطالحه، ومستلب الذات نتيجة الانبهار بالحضارة الأوروبية، إنه لمن الضروري للعالم الإسلامي إذا أراد السير قدما أن يطلق العنان للفكر ويكون على إثره كفاءات تؤمن بهذا المطلب وتدافع عليه، وتشجع في سبيل انتهاجه كدعامة أساسية في سبيل التقدم والنهوض بالأمة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الفكر الإسلامي، التقليد، العصر الحديث، حرية الفكر.

* المؤلف المرسل

Abstract:

Allah has endowed man the mind to discover with it the secrets of the universe and its simple and complex laws. If he makes good use of it, he will ensure his survival and endow him with strength among other nations, and this will reflect positively on him and on all humanity. And urbanization. On the other hand, he loses its intellectual self and falls into the vortex of blind imitation of everything that is traditional or presented on the scene, consuming all the intellectual products offered without taking into account the cultural identity of each nation, and without respecting the privacy of each era, and this is what happened to The Islamic world in the modern era, where it has become hostage to the legacy of the predecessors, the good and the bad, Accordingly, it is necessary for the Islamic world, if it wants to move forward, to unleash the thought and to build up qualified people who believe in this demand and defend it, and to be encouraged in order to pursue it as a mainstay for the progress and advancement of the Islamic Ummah **.**

Keywords: Islamic thought ،tradition ،the modern era ،freedom of thought.

1. مقدمة:

يعتبر الإنسان في هذا الكون بمثابة خليفة الله عز وجل في الأرض، سخر له جميع المخلوقات لخدمته وأمره بعبادته وإعمار الأرض، وذلك بفضل نعمة العقل التي وهبها له وأمره بل شدد في ذلك باستغلاله وإعماله فيما يعود عليه بالنفع في أمور دينه ودنياه، ولما كان المسلمون في قرون الإسلام الأولى متمسكين بدينهم أعطوا للعقل مكانته التي أمر الله بها فارتقوا بالأمة لأزهى عصورها الذهبية، وقادوا العالم في مختلف مجالات الحياة الإنسانية وكانوا بمثابة النموذج الذي يُقتدى به في الرقي والتقدم، لكن مع مرور الزمن اختلطت المفاهيم، وأُلصقت العديد من الأفكار الخاطئة والمفاهيم القاصرة حول العقل ودوره في حياة الفرد المسلم، مما أدى إلى تكبيله بشتى أنواع العراقيل، وهذا ما أدى إلى الجمود وشيوع التقليد الأعمى لكل ما هو قديم أو معروض على الساحة .

نتيجة جمود العقل واستكانته، عكف المسلمون على التقليد الأعمى لآثار السلف في مختلف نواحي الحياة، دون نقد ولا تمحيص للموروث الحضاري الإيجابي منه والسلبي،كله أخذوه على محمل القداسة والفاعلية، دون مراعاة تغير الزمن وتغير الأحوال فيه، هذا على المستوى الداخلي وعلى المستوى الخارجي نتج عن هذه الاستكانة الفكرية أن انبهر المسلمون بالحضارة الأوروبية ومنتجاتها الفكرية والعلمية، فعكفوا كذلك على استيراد المفاهيم الأوربية، ونظرتها للمشروع النهضوي للفرد والمجتمع، دون مراعاة خصوصية الذات الإسلامية.

على إثر هذا الوضع الذي عرفه العالم الإسلامي في العصر الحديث ظهر مجموعة من المفكرين والعلماء الذين أكدوا على أنه إذا أرادت الأمة الإسلامية اليوم مواكبة التطور الحاصل في شتى مجالات الحياة واللحاق بركب الحضاري، وجب عليها إطلاق العنان للعقل الإسلامي، من أجل الابداع والابتكار وتحريره من القيود التي فرضتها المفاهيم الخاطئة والبدع والخرافات التي أُلصقت بالدين زوراً وبهتاناً، والمتعارف عليه أن قيادة القاطرة الحضارية لأي أمة من الأمم لزاماً يجب أن تكون بيد نخبها وكفاءاتها العلمية، وهذا لا يتأتى إلا إذا حرصنا على تحسين المناهج التعليمة والاستفادة من العلوم المدنية الحديثة، وتربية الجيل على الاهتمام بدور العقل وحرية الفكر في الحياة، كذلك توظيف العقل في قراءة تراث السلف الذي استطاعت به الأمة القيادة في قرونها الأولى، كون الإسلام دين الأمة وفيه كل أسباب التطور والتقدم، ولا نجاح ولا فلاح لها ما لم ينطلق مشروعها الحضاري منه، مع ضرورة التفتح على منتجات الحضارات الأخرى في العصر الحاضر .

انطلاقا مما سبق ذكره جاءت دراستنا هذه لتسلط الضوء على الفكر الإسلامي في العصر الحديث من خلال الإجابة على إشكالية تتخلص في مجموعة من التساؤلات وهي مكانة العقل في الإسلام؟ وكيف أثرت آفة التقليد على الفكر الإسلامي؟ وما الدور الإيجابي لحرية الفكر في خدمة الأمة الإسلامية؟ ولمحاولة الإجابة على هذه التساؤلات قسمنا بحثنا هذا إلى ثلاث عناصر كل عنصر يتضمن محاولة الإجابة على سؤال، معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي الوصفي من أجل وصف الحالة التي كان يعيشها العالم الإسلامي من إهمال لدور العقل في حياة الفرد المسلم، وكذا وصف حالة التقليد الأعمى التي كانت سائدة في تلك الفترة، مع مزاوجته بالمنهج التحليلي من أجل ربط الأحداث وشرح الأسباب ، وإيجاد العلاقة بينهم مع طرح الحلول .

2. مكانة العقل في الإسلام:

خلق الله عز وجل الإنسان في هذا الكون واستخلفه فيه، حيث سخر له جميع المخلوقات لخدمته، وهذا بفضل نعمة العقل التي وهبها له والتي من خلالها يحسن استغلال هذه المخلوقات من أجل الوصول إلى الغاية الأسمى وهي عبادة الله عز وجل وإفراده بالعبودية، إلى جانب خدمة نفسه في أمور دنياه، ولتحقيق هذه السنة الكونية أمر الله عز وجل الإنسان بالتعقل والتفكر والتدبر في سنن الكون وذلك في العديد من المواضع في القرآن الكريم، يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[1].

يقول العلامة عبد الرحمان ابن خلدون: "اعلم أن الله عز وجل مَيَّزَ البشر عن سائر الحيوانات بالفكر الذي جعله مبدأ كماله ونهاية فضله عن الكائنات وشرفه، وذلك أن الإدراك هو شعور المدرك في ذاته بما هو خارج عن ذاته، فالحيوانات تدرك ما هو خارج عن ذاتها بحواسها الخمسة التي منحها الله بينما يزيد الإنسان أنه يدرك الخارج عن ذاته بالفكر الذي وراء حسه، لذلك فإن الإنسان اهتدى بفكره لتحصيل معاشه والتعاون عليه مع أبناء جنسه والنظر في معبوده" [2]، يذكر عبد الرحمان ابن خلدون بأن الإنسان في مرتبة أفضل وأسمى من الكائنات الأخرى وذلك راجع لنعمة العقل التي بها يحقق النفع لنفسه ولغيره وبهذا الفكر يسموا ويرتقي، وهي إشارة كذلك إلى أن تعطيل دور هذا العقل يُفقد الإنسان المكانة الرفيعة التي تميز بها عن غيره من الكائنات .

لقد بدأ الإنسان بداية لا تميزه عن غيره من الحيوانات، لكن نقطة الافتراق بينها كانت قوته العاقلة التي تعتبر محور صلاحه وفلاحه، إذ أنه هو مقننة القوانين، وموضحة السبل، وواضعة جميع النظامات، و شارحة حدود الفضائل والرذائل، فهي قوام الكمالات العقلية والخلقية [3]، وهو الوسيلة الوحيدة في التصور والتصديق، وتميز الحقائق على وجه دقيق، وإذ كان حاداً ذكياً متوقداً يخترع ويبدع في شتى المجالات، فالعقل الواسع يدرك

[1] سورة آل عمران، الآية 190- 191 .

[2] عبد الرحمان ابن خلدون ، (1984 م)، المقدمة، ط 1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ص 520 .

[3] محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1997م، ص ص 300 301 .

العلاقات المتولدة بين الأشياء، ويحفظ فروعها ومشعباتها، وينسبها إلى أصل واحد ويجمعها حتى تصير بالنسبة للعقل معلوماً واحداً، ومستحضرة فيه بصورة واحدة، فتنتفش المعلومات في مرآة العقل تأصيلاً وتفريغاً في صورة جلية [1]، لذلك كان محور اهتمام العديد من العلماء والمفكرين المسلمين عبر مراحل الزمن المختلفة، حيث يؤكد الإمام محمد عبده بأن العقل هو جوهر إنسانية الإنسان وهو أفضل القوى الإنسانية على الحقيقة[2].

إن الإنسان كون عقلي سلطان وجوده العقل فإن صلح صلح السلطان ونفذ حكمه وصلح ذلك الكون، والعقل هو من أَجَلِ القوى بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها والكون هو صحيفته التي ينظر فيها، وكتابه الذي يتلوه، وكل ما يقرأه فيه هو هداية إلى سبيل الوصول لله، كما أن العقل هو الفرقان الذي يكون به التفرقة بين الحق والباطل [3]، ورغم هذه القيمة التي أعطاها إياه الأمر الرباني فقد تعرض العقل الإسلامي للعديد من الشوائب المفاهمية سواء المقصودة أو الغير المقصودة الناتجة عن جهالة أصحابه، حيث وُصف العقل الإسلامي بأنه مقيد بنصوص الوحيين القرآن الكريم والسنة النبوية، لذلك فإنه يفتقد للحرية اللازمة لكي يبدع الإنسان بفكره وهذا ما روجت له العديد من الدراسات الاستشراقية، كما أن هذه الدراسات أَرْجَعت سبب تخلف العالم الإسلامي في العصر الحديث لهذا السبب مؤكدةً في نفس السياق أن أوروبا استطاعت الخروج من حالة التخلف إلى حالة التقدم أو ما يعرف بالنهضة الأوروبية بفضل إطلاقها العنان للعقل .

بهذه المفاهيم المجحفة في حق الإسلام والمسلمين حاول المستشرقين تجاهل الفكر الإسلامي وإسقاطه من سلسة الفكر الإنساني يقول الدكتور محمود زقزوق في كتابه الاستشراق: "لست أدري كيف يبيح المستشرقون لأنفسهم إطلاق هذه المزاعم والعالم كله لم يعرف دينا من الأديان يرفع من شأن العقل مثل الإسلام، والقرآن الكريم شاهد على ذلك"[4].

---

[1] رفاعة الطهطاوي رفاعة، المرشد الأمين للبنين والبنات، د ط، مكتبة الإسكندرية، القاهرة ، 1433/ 2011م، ص 184 .

[2] محمد عمارة، المنهج الإصلاحي لمحمد عبده، د ط، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2005م، ص 73 .

[3] محمد عمارة، الإصلاح بالإسلام معالم المشروع الحضاري للإمام محمد عبده، ط 1، نهضة مصر، مصر، 2006م، ص 85 .

[4] سمير فضل الله أبو وافية، الفكر الإسلامي يرد على المستشرقين، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م، ص- ص 23- 25 .

هذه الحملة التشوهية المليئة بالمغالطات والتحريفات لا نستغرب منها فالإسلام عبر مراحل الزمن المختلفة تعرض لمثل تلك الحملات في شتى مجالات الحياة من أجل الحط من قيمته في نفوس البشرية، وإطلاق صفة التحجر والسكون وعدم مسايرة روح العصر عليه ويتحمل المسلمون جزء من الحالة التي وصل إليها الفكر الإسلامي والتي جعلت من الآخر يتجرأ ويصفه بهذا الوصف، وذلك بسوء فهمهم للإسلام سواء عن قصد أو بجهالة وبتركيزهم على ظواهر النصوص دون إعمال العقل، والأسوء من ذلك التقليد الأعمى لأقوال السلف دون نقد أو تحقق، وبالتالي تترصب تلك المفاهيم عبر فترات من الزمن لتصبح عقائد لدى العامة من الناس، وقضايا لا تقبل النقاش.

لقد وردت العديد من الآيات القرآنية التي تدعوا لتحرير العقل والتبصر كأساس للتفكير السليم باعتباره ضرورة أساسية لاستمرار البشرية ورقيها، لذلك ذم الله عز وجل المشركين الذين لا يعقلون ولا يتفكرون ووصفهم بالجهل والغفلة[1]، يقول الله عز وج﴿ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٠ ﴾[2].

إن العقل والعقلانية في المنظور الإسلامي ليس جوهراً مستقلاً ومناقضاً لغيره من سبل النظر وتحصيل المعارف وأدوات الإدراك، وبالتالي فالعقل في مصطلح العربية ومفهوم الإسلام ليس عضوا وإنما هو فعل التعقل وبه وبالقلب والنهى واللب، وبالنظر والتدبر والتفكر والفقه كان التفسير القرآني منهج من مناهج النظر [3].

إن الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال في شتى مجالات الحياة في كل أوامره ونواهيه، فكما سبق وذكرنا أعطى للعقل قيمة عظيمة وأمر بتفعيل دوره في حياة الإنسان من أجل الوصول إلى أسرار الكون وسر وجوده فيه، لكن في مقابل ذلك هذا لا يعني الإفراط في استخدامه في العلوم الدينية خاصة المرتبطة بالغيبيات، فالعقل الإنساني مهما ارتقى يصعب عليه أحياناً فهم بعض أسرار الكون، لذا من الضروري الاستعانة بالوحي وإعمال العقل في التدبر فيه من أجل فهمه، أما فيما يخص علوم الدنيا فالإنسان حر في إطلاق العنان لعقله من أجل الابتكار خدمة لنفسه ومجتمعه، ومسايرةً لروح العصر وما يتطلبه من تجديد وإبداع في كافة المستويات الحياتية

[1] سمير فضل الله أبو وافية، المرجع السابق، ص 26.

[2] سورة يوسف، الآية 100.

[3] محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، د ط، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة، 1990م، ص 12.

3. آفة التقليد الأعمى في العصر الحديث:

كرم الله عز وجل الأمة الإسلامية وجعلها خيرة الأمم بفضل الدين الإسلامي، يقول الله عز وجل: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[1]، فقد عرفت الأمة الإسلامية أوج قوتها وعصرها الذهبي في القرون الأولى، وقادت الأمم في مختلف المجالات، بل كانت المحور الفعال بينهم، ونموذج يُقتدى به في الرقي الإنساني والحضاري، حيث عرف الإنتاج الفكري والعلمي نشاطاً وحيويةً جعلت الأمم الأخرى تسعى جاهدة للاحتكاك بالحضارة الإسلامية والأخذ منها، بل إن الحضارة الأوروبية استلهمت نهضتها من المفاهيم الإسلامية بشهادة المفكرين الأوروبيين أنفسهم ومع تقادم الزمن انتشرت المفاهيم الخاطئة والخرافات ودعاة الضلال هذا ما كبل العقل الإسلامي وقيده وأوقعه في شراك آفة التقليد الأعمى .

الواقع أن التقليد مفهوم متفاوت الأقدار، فالاعتدال فيه فضيلة ولازمة للرقي والإفراط فيه ضرر مثل الإفراط في غيره من المعاني، وإنهم ليظلمون التقليد إذا أطلقوه على جزئه الرذيل دون جزئه الفاضل، وهو التقليد بعد التدبر والتفكر فيه وأخذ ما هو صالح وما يتناسب مع الذات ودرء ما يضر ويفسد [2]، فالقسط في إطلاق الأحكام حول المفاهيم هو من فضائل أهل العلم، وكما سبق وأن أشرنا فإن التقليد فيه ما هو ايجابي وما هو سلبي والأجدر هو إعمال العقل قبل الأخذ لتميز الصالح من الطالح، والعيب كل العيب هو الاستهلاك دون نقد ولا تمحيص فالإنسان بطبعه كائن اجتماعي يحتك بالآخرين يعطي ويأخذ، يقول عبد الرحمان ابن خلدون في هذا الصدد بأن الإنسان مدني بطبعه أي لابد له من الاجتماع [3].

---

[1] سورة آل عمران، الآية 110 .

[2] أحمد لطفي السيد ، تأملات في الفلسفة 73 .والأدب والسياسة والاجتماع، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية ، 2012م، ص ص 72

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 77 .

انطلاقا من ضرورية الاجتماع الإنساني فإن الأمة الإسلامية كان لها نصيب أيضا إذْ أنها احتكت بالأمم الأخرى وتفاعلت معها بالتأثير والتأثر، وبالتالي فان الأمة تعاطت مع التقليد على مستويين على المستوى الداخلي بين أفراد الأمة الواحدة، وعلى المستوى الخارجي مع الأمم الأخرى غير المسلمة، وهذا التعاطي شمل الشقين الإيجابي منه والسلبي في كلا المستويين، ونحن اليوم بصدد التطرق للشق السلبي للتقليد لما كان له من أثر سلبي كبير في تاريخ الأمة بل ومازالت تعاني منه لليوم .

أُصيبت الأمة الإسلامية بآفة التقليد الأعمى للمتقدمين من السلف دون تمحيص ولا نقد، فقد كانت فكرية العصور الوسطى المحافظة والجامدة واللاعقلانية التي اقتنع أصحابها بالجمع والتصنيف والتدوين وخاصة التراث الغير عقلاني، كانت واحدة من أصعب الأزمات التي عاشتها الأمة الإسلامية [1]، وهنا يجدر الإشارة أن ظاهرة التقليد الأعمى حقيقةً وُجدت لكن عند فئة من المسلمين وليس كل المسلمين، حيث وُجدت في نفس تلك الفترة كذلك عديد المبادرات من العلماء في مجال الفكر والانتاج العلمي، والدعوة لتجريد التراث من صفة القدسية وذلك بتعريضه للنقد.

تسببت ظاهرة التقليد الأعمى في تحريف العقائد، وانتشار البدع والخرافات التي كبلت فكر المسلم، وبذلك شاع بين الناس من الأقوال وموضوعات الأحاديث ما يندى له الجبين، وكل ما انتشر من البدع منشؤه سوء الاعتقاد الناتج عن رداءة التقليد، وإهمال العقل خلافاً لما يدعو إليه القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة [2]، يقصد محمد عبده في هذا الموضع أن التقليد الأعمى لتراث السلف صالحه وطالحه دون نقد أو تمحيص كان سبباً في ظهور العديد من المفاهيم الخاطئة والممارسات التي كبلت الفكر الإسلامي .

[1] محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ص 297 .

[2] محمد عبده، (2012 م)، الإسلام بين العلم والمدنية، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص ص 117 118 .

كما انتشر بين بعض المسلمين فكرة حرمة الأقدمين من العلماء بسبب انحصار العلم لدى بعض العلماء على نقل كلام السلف، وانحصار التأليف لدى البعض في نقل ما مضى دون بحث، هذا ما أدى إلى سلب النفوس روح النقد، وبذلك تفيء النفس إلى التقليد وتلك شنشة قديمة أضرت العلوم الإسلامية وأدت إلى التفرقات الاعتقادية والفقهية [1]، بل وصل الحد بالجمود الفكري الناتج عن التقليد الأعمى أن رُوجت بعض الأفكار الخاطئة التي أكدت على أن تخلف الأمة الإسلامية أمر مقدر لها، وما علينا سوى الاستسلام للقدر والرضى به، وأن حال الأمة هو مصداقاً لما ورد في الأخبار عن أحوال آخر الزمن، وأنه لا حيلة في الإصلاح وبالتالي وجب الاستسلام تفويض لأمر الله، لذا على المسلم أن يقتصر على خاصة نفسه مستشهدين في ذلك بظواهر الألفاظ التي وجدوها في موضوعات الأحاديث وضعافها، واتخذوا من عقيدة القدر مثبطا للعزائم وَغَلاً للأيدي عن العمل [2].

ومن نماذج هؤلاء بعض المدارس الصوفية التي روجت للأفكار الخاطئة بسبب جهلهم بالعقل الحديث، وأصبحوا بذلك عاجزين تماماً عن تقبل أي إلهام جديد في الفكر الحديث والتجربة الحديثة، عاكفين بذلك على تكريس أساليب صنفتها أجيال كانت لديها نظرة ثقافية تختلف من نواح كثيرة عن نظرة المسلمين في العصر الحديث [3]، هذا لايعني أن كل المدارس الصوفية ساهمت في هذا الأمر بل إن بعض المدارس والطرق الصوفية كان لها دور كبير في الحفاظ على الذات الإسلامية في مجال الفكر الإسلامي تهذيباً للنفوس، وإنتاجاً علمياً، ووقوفاً أمام التيارات الفكرية والدينية التي تشكل خطر على الذات الإسلامية .

كان للمنظومة التعليمة نصيب من هذه الآفة، حيث أثرت بشكل كبير في تدني المستوى العلمي لذلك حاول بعض العلماء إصلاح الوضع، كان من بينهم الإمام محمد عبده الذي حمل لواء الإصلاح وتغيير النمط التعليمي الكلاسيكي بدءاً بالجامع الأزهر الذي تعلم فيه أيام الصغر، ومع الوقت أدرك ضرورة إصلاح المناهج التعليمية فيه بإدخال علوم حديثة مثل الحساب، والجبر، والتاريخ، والجغرافيا، هذا ما جعله محل معارضة شديدة من شيوخ الأزهر التقليديين الذين صرحوا بأنه لا جدوى من تدريسها للطلاب، وأن عليهم أن

[1] محمد الطاهر ابن عاشور، أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ص 16 .

[2] محمد عبده، المصدر السابق، ص 111 .

[3] إقبال محمد، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة محمد يوسف عدس، د ط، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2011م، ص 9 .

يدرسوا ما درس شيوخهم، فالشيخ كان يطلب إصلاح المدارس والمناهج التعليمية ليضفي على مناهجها إطلالة عقلانية على صفحات التراث المشرقة، والتعمق في علوم العصر، ويرى أن بلوغها هذا الهدف سيجعلها البديل الصالح للأزهر وليس مجرد المنافس لها، فقد كان يسعى لتجديد الفكر الديني والتصدي لذلك التحدي الذي يمثل فكرية العصور [1].

لقد حذر الشيخ محمد عبده من خطر التمادي في التقليد الأعمى بقوله إننا نخشى لو أننا تمادينا في هذا التقليد الأعمى واستمر بنا الأخذ بالنهايات الزائدة قبل البدايات الواجبة أن تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا، وأن يكون انتقالنا عنها على وجه تقليدي أيضا [2]، لم يكن الشيخ محمد عبده يتكلم من فراغ، إنما كان يسعى لإصلاح الواقع التعليمي، فقد كان العالم أو المفكر إذا كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب برأيه حسب اجتهاده على خلاف أقرانه من العلماء والشيوخ تُشن عليه حملة و يُوصف بأنه جاء بالافك المبين وغالبا ما ينتهي حال من سار على هذا النهج في القبض عليه و إدخاله السجن، ومن أمثلة ذلك الشيخ السنوسي الذي كتب كتابا في أصول الفقه زاد فيه بعض المسائل على أصول المالكية من اجتهاده، ورأى فيه ما يخالف بعض آراء العلماء فعلم بذلك أحد شيوخ المالكية وقام على اثر ذلك اتهمه بالمروق عن الدين [3].

لقد اخترنا نموذج الأزهر الشريف لوصف حالة التعليم وما أصابه من العجز عن مسايرة الركب العلمي في البلدان الأوربية على سبيل المثال لا الحصر، إذ أن العالم الإسلامي كان يعيش نفس هذا المرض الفكري سواء في مشرق العالم الإسلامي أو مغربه في أغلب مراكزه العلمية، وإننا لنأسف أن الأمة ما زالت تعيش هذا المرض لدى بعض علمائها ومناهجها، وطلابها مما أثر على الإنتاج الفكري والعلمي، وهذا بالضرورة ما جعل الأمة الإسلامية تراوح مكانها في المقابل نجد الأمم الأخرى حَقَّقَت نهضتها بعد أن حررت نخبها من قيود التبعية الفكرية للأسبقية العلمية والتركيز على انتقاء الأحسن وترك ما هو غير نافع .

[1] محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ص 298 299 .

[2] علي الحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798م- 1914م الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م، ص 161 .

[3] محمد عبده، المصدر السابق، ص 106 .

من العلماء الذين ساروا في نفس نهج محمد عبده في العصر الحديث حول نظرته لواقع الفكر الإسلامي و التعليم الإسلامي نجد الشيخ رشيد رضا الذي دعا إلى إصلاح نظام التربية والتعليم بما يتماشى وروح العصر، ذلك أن صنع مستقبل زاهر للأمة لا يمكن ونحن متشبثين بطريقة عمياء بالقيم التقليدية التي لا تتناسب وروح العصر[1]، بقدر ما أثر التقليد الأعمى للمتقدمين من السلف على الأمة لدى البعض، كان للتقليد الأعمى للحضارة الأوروبية الأثر السلبي كذلك عليها، يقول العلامة عبد الرحمان ابن خلدون إن المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن المغلوب يرى الكمال في غالبه نتيجة ضعفه، وبالتالي قوة هذا الاقتناع تتحول إلى اعتقاد بأن الكمال موجود في هذا الغالب وبتالي يقلده في كل شيء [2].

أدى هذا التقليد إلى ضعف الأمة الإسلامية كونه لا يتناسب مع المسلمين، وبالتالي حدث هنالك خلط بين جوهر الظواهر وأشكالها وذلك في بداية الحركة الفكرية لدى المجتمع الإسلامي الحديث، فلم يكن العلم الذي اقتبسه المسلمون من جامعات الغرب وسيلة إسعاد بل كان طريقا إلى المظهرية، ولم يكن ذلك العلم استنباطا لحاجة مجتمع يريد معرفة نفسه ليحدث التغير فيه، بل لم يكن استظهارا لبيئة نجحت عن غيرها في التطور والنهضة، فهو قانع منطوي على ذاته حبيس في صوره وأشكاله المألوفة [3]، يقصد مالك ابن نبي في هذا الموضع أن المسلمين لم يحسنوا التعاطي مع التقليد وذلك بتقليدهم للآخر دون مراعاة خصوصية الذات الإسلامية ودون فهم حقيقة مايحتاجه واقع المسلمين وما يَلْزَمُه من تغيير على مختلف المستويات كي يتغير نحو حالة أفضل في العصر الحديث.

نتيجة احتكاك المسلمين بأوروبا ظهرت نخبة من المسلمين ترى أنه لا مسلك للأمة من أفقها الضيق إلا أن تسلم مسلك الغربيين في التقدم والتحضر، وتسلك مسلكهم أيضا في تصورهم للحياة ونظامهم السياسي والاقتصادي والتعليمي[4]، وبالتالي تشكلت نخبة تنتهج

---

[1] عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925 م -1954 م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ جامعة الجزائر، الجزائر،2004- 2005م، ص 195 .

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص 195 .

[3] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 5، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986م، ص 84 .

[4] حديد نور الدين، أزمة النهضة العربية وسؤال المرجعية - من لحظة التأزم إلى لحظة الوعي والاستفاقة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، مج 09، العدد 02، الجزائر، 2020م، ص، ص445-462؛ ص 450 .

مسلكها الفكري ورؤيتها للحياة وفق الأدبيات الفكرية والثقافية والعلمية للحضارة الأوروبية الليبرالية وترى فيها قدوة علمية ونظرية لها، وخصوصا بعد أن لاقى هؤلاء تأييدا من الأنظمة الحاكمة، وظهر بذلك العديد من الأسماء اللامعة ممن توسعت آفاق استكانتها واستكشافاتها العلمية والفكرية والثقافية في دائرة التقدم الأوربي والاكتفاء بمجرد التقليد حتى في القيم الحضارية والثقافية دون مراعاة خصوصية الذات العربية الإسلامية [1].

وصل حالة الأمة الإسلامية إلى حال الضعف والهوان نتيجة الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء[2]، وطال أمد ذلك الجمود لاستمرار العاملين عليه والمحافظين عليه [3]، إن هذا الوصف الذي قدمه كل من عبد الرحمان الكواكبي ومحمد عبده الذين عاصرا الفكر الإسلامي في تلك الفترة فيه نوع من القسوة في الحكم على حال الأمة الإسلامية في تلك الفترة، لأنه رغم حال الضعف وانتشار ظاهرة التقليد الأعمى وإهمال دور حرية الفكر إلا أنه وُجد نشاط فكري لدى البعض بل وظهرت في تلك الفترة دعاوي تنبه على ضرورة اجتناب التقليد الأعمى والدعوة لتفعيل دور حرية الفكر داخل مجال الأطر الإسلامية العامة .

3. الدعوة لحرية الفكر:

إن الدعوة إلى تحرير الفكر يجب أن تُفهم على أنها عملية تحريره من الجمود والتقليد الأعمى وتحريره من الغرور والهوى، سواء تعلق هذا الجمود أو التقليد للسلف سلفنا نحن أو سلف الحضارة الغربية[4]، لذلك جاءت دعوة مفكري الإسلام الذين فهموا أهمية منح الحرية للعقل الإسلامي والفكر الإسلامي إلى هذا الطلب الضروري للأمة الإسلامية إذا ما أرادت النهضة والتطور .

إن أول طريق لتحرير الفكر الإسلامي هو التعليم باعتباره الدعامة الرئيسة لتطور أي مجتمع من المجتمعات، ذلك أن الفاعلين فيه والناتجين عنه هم من يحملون على عاتقهم مهمة قيادة أمتهم ومجتمعهم نحو التطور ومسايرة الركب الحضاري، وللوصول إلى هذه الدرجة من الفاعلية وجب الاهتمام بعناصر الرئيسية للعملية التعليمية وهي المتعلم والمعلم والمناهج

[1] أحمد العيساوي، الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر التحديات الداخلية والخارجية، مجلة الإحياء، الجزائر، د مج، العدد 01، د مج، الجزائر، 1998م، ص- ص147- 175؛ص 148 .

[2] عبد الرحمان الكواكبي، أم القرى، د ط، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر،1250ه/ 1931م، ص 139 .

[3] محمد عبده، المصدر السابق، ص 112 .

[4] محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 14 .

الدراسية، بتطويرها وإيجاد الظروف المناسبة لها، وإدخال كل ما هو عصري ومستجد عليها، حيث عرف المجتمع الإسلامي نقصاً كبيراً في مستوى العلمي مقارنةً بالقرون الأولى للإسلام حين كانت تُتَرْجم كُتُبُ علمائه ويُضرب بها المثل في السبق العلمي والإنتاج الغزير، وذلك بسبب تكبيل العقول وتقييدها إما بالجمود وعدم إعطاء العقل مكانته المُسْتَحقة في الإسلام، وإما بسبب آفة التقليد الأعمى.

إن قيد وتكبيل عقل وفكر المسلم يَنْتُجُ عنه أنه يقبل كل تاريخه وماضيه بعقده وانحرافاته، وما تركه من بصمات على منهجه وفكره ومجتمعه ومؤسساته، وإما أن يرفض كل تراثه وتاريخه وكل مقومات شخصيته وكيانه[1]، حيث نجد أن المسلمين في العصر الحديث اهتموا بالأصول والمناهج الخاصة بالنصوص، إذْ أصبحت علوم ومعارف متكاملة وهذا ما يُحسب لهم، أما المناهج الخاصة بالأقوال والوقائع والطبائع فإنها أُهملت وأُهملت معها حقوق العلم والمعرفة المتعلقة بها، لذلك لم تنشأ علوم المجتمع بالمعنى الصحيح وبالمدى الممكن لمنطلقات الإسلام وهكذا لم ينشأ علم سياسة إسلامية، ولا علم تربية إسلامية، ولا علم اقتصاد إسلامي، ولا علم إعلام إسلامي، ولا علم إدارة إسلامية، كما نجد العلوم المنهجية توضع دون تخطيط ولا منهج، أما بالنسبة لإطارات المجتمع المسلم وبناء نظمه ورسم سياسته فقد أصبح أمراً تعسفياً تتخبط معه مسيرة الأمة وتنهار به مؤسساتها وتتخبط فيه نوعيه كوادرها [2].

إنه من الواجب علينا إذا أردنا التقدم والرقي أن لا نكرر نفس أخطاء من كان قبلنا سواء بالتنكر لمكانة العقل في حياة المجتمع أو بالتقليد الأعمى للأقدمين، وبالتالي التضييق على حرية الفكر فقد صرف الإسلام القلوب عن التعلق بما كان عليه الآباء وما توارثه عنهم الأبناء، وسجل الحمق والسفاهة على الآخذين بأقوال السابقين دون إعمال العقل، ونبه على أن السبق في الزمان ليس آية من آيات العرفان، ولا مسمياً لعقول على عقول، ولا لأذهان على أذهان، وإنما السابق واللاحق في التمييز والفطرة سيان، كما أطلق الإسلام سلطان العقل من كل ما يقيده، وخلصه من كل تقليد بل حمل على التقليد حملة لم يردها عنه القدر، وجهر بأن الإنسان لم يُخلق ليُقاد ولكنه فُطر على أن يهتدي بالعلم والأعلام [3].

من المعروف أن نظام الحياة الاجتماعية في تغير مستمر في كل أنحاء العالم، وهذا التغير يستدعي تغير وتبدل الأفكار والأغراض والقيم العقلية وأساليب التعليم، ومقدار

[1] عبد المجيد أحمد أبو سلمان ، أزمة العقل المسلم،د ط، دار الهادي، د ب، 2003م، ص ص 52 53 .

[2] نفسه، ص 74 .

[3] محمد عمارة، الإصلاح بالإسلام معالم المشروع الحضاري للإمام محمد عبده، المرجع السابق، ص ص 87 88 .

العلوم المطلوبة، وقيمة كفاءة المتعلمين لحاجات زمانهم، وللوصول إلى هذه الغاية المهمة وجب تكليف العقلاء والحكماء الذين يعتمدون في وضع أساليب التعليم بترتيب كل ما يبلغ بالعلم والمتعلمين إلى الغاية المطلوبة في أقرب وقت، والبحث في مستقبل الأمة وتكوينها وضرورة نقد الأساليب التعليمية بالنظر للايجابيات والسلبيات، لأن جودة التعليم هي من تنتج قادة الأمة، ومصابيح إرشادها، ومهدئوا نفوسها إذا أَقْلَقَ الاضطراب مهدها [1]، يؤكد محمد الطاهر ابن عاشور على أن أول مبدأ لتغير واقع العالم الإسلامي إلى حال أفضل يجعله يتلاءم وروح العصر هو ضرورة تغيير المنظومة التعليمية وتكييفها حسب متغيرات العصر ذلك أن التعليم هو صانع النخب ومكونها، وحسب طبيعة التعليم تكون جودة تلك النخب التي تكون قاطرة الأمة الإسلامية، لذلك نجد أغلب العلماء والمفكرين ركزوا على التعليم في نهضة العالم الإسلامي.

تعتبر المناهج التعليمية من أهم الركائز الأساسية في خلق الكفاءات العلمية، وتكوين النخب العلمية، فهي بمثابة القلب النابض للمسيرات التعليمية في أي مجتمع من المجتمعات، لذا أصبحت أكثر عرضة من غيرها للتغيرات والتحسينات، وهذا لا يتأتى إلا بحرية الفكر والإبداع، والمناهج التعليمية الإسلامية أكثرها ضرورة في حياة المجتمع، لأنها تتطرق لحياة المسلم في جميع المجالات الاقتصادية والتربوية والسياسية وغيرها، ولا تقتصر على العبادات والمعاملات فقط كما يظن البعض، وإذا كانت بهذه الأهمية فإنه يتوجب الاهتمام بها بتوظيفها عملياً لأن الإسلام نظام متكامل، كان مصدر قوة الأمة و ريادتها للعالم، لذا وجب في وقتنا الحاضر إعطائها مكانتها التي تجعلها قادرة على إنشاء أجيال تحمل على عاتقها حمل رسالة الإسلام من أجل مواجهة تحديات الراهنة بعقلية مستنيرة وواعية أساسها حرية الفكر وتقبل مستجدات العصر والتفاعل من الأطرف الأخرى بإيجابية [2].

[1] محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص ص 100 101.

[2] جاكاريجا كيتا، مناهج التربية الإسلامية ودورها في ترسيخ قيم الوسطية لدى طلبة المرحلة الثانوية، مجلة دراسات وأبحاث، ماليزيا د مج، العدد 02، الجزائر، 32007م، ص- ص01-29؛ ص 3.

إن حرية الفكر والرؤية والمنهجية الإسلامية الصحيحة لا مجال فيها للانحراف باسم العقل ولا الانحراف باسم الدين، ولا مجال للاستبداد باسم العقل تجاهلاً لغايات الوحي ومقاصده وتوجيهاته، ولا مجال للاستبداد باسم الدين والقداسات، ولا للاستبداد بتصريف شؤون الأمة على غير قناعة، وليس للفكر الإسلامي إلا أن يؤدي دوره ومسؤوليته في تبصير الأمة بأسباب معاناتها وقصورها وتدهورها وتخبطها فيما مضى من العصور، إذن من شروط تقدم المجتمع الإسلامي هو إطلاق العنان للعقل وحرية الفكر، وعدم تقيده بمجموعة من الأوامر والتحريمات التي لا تتعلق بأحوال الناس ومجريات حياتهم وما يواجههم من تحديات، وبالتالي الانطلاق إلى الحياة بروح متفتحة ومعاصرة لروح العصر [1].

إننا حين نتحدث عن الإسلام والفكر الإسلامي ودوره في حياة المسلمين، فإننا نتحدث عن نظام متكامل يشمل جميع شؤون الحياة، وطبعا اهتمامه بالمناهج التعليمية، وبتحضير قيادات الأمة و نخبها في جميع مجالات الحياة كان من بين أهم الضروريات، لأن العلم والتعليم له مكانة مرموقة في الإسلام بل وأمر الله عز وجل بالعلم قبل العمل تأكيداً لأهمية هذا الركيزة الأساسية التي تضمن السيادة والريادة للفرد المسلم، وقد كُتبت العديد من المؤلفات التي بَيَّنت وشرحت الطرق المثلى للمناهج المتعلقة بالعلوم الإسلامية في جميع شعبها وتخصصاتها، ونتيجة ضعف المسلمين وخاصة على المستوى العلمي فإن هذه المناهج بقيت تراوح مكانها وتعيش بفكرية العصور الوسطى، متغافلين على التغير الذي طرأ على العالم وخاصة فيما يتعلق بالنهضة الأوربية، هذا التفوق الأوروبي في الميدان العلمي جعل العالم الإسلامي يتفطن من سباته ومن تقوقعه، إلا أن هذه الاستفاقة عرفت انحرافاً بظهور تيار يرى أن الإسلام عائق للتطور، وأن العلوم الإسلامية والمناهج التعليمية الإسلامية لا تواكب روح العصر، ولا تضمن التطور والرقي للأمة الإسلامية، وهذا طبعا نتيجة الاستيلاب الفكري الذي سيطر على دعاة هذا التيار المنبهرين بالحضارة الأوروبية ومنتجاتها، متناسيين أن الإسلام دين يحمل نظام متكامل في جميع شؤون الحياة يضمن السعادة للمسلمين وللإنسانية جمعاء.

[1] عبد المجيد أحمد أبو سلمان، المرجع السابق، ص- ص 133- 135.

على سبيل المثال لا الحصر من العلوم الإسلامية المواكبة لروح العصر و مستجداته الفقه، وهو أكثر العلوم اتصالاً بالحياة لأن مسائله هي الحوادث الواقعة و المتجددة، ولكونه الحقل الذي يختص بتقنين الحياة في تطوراتها وتحولاتها وتبدلاتها، هو اليوم مُلْزَمْ باستعادة المبادرة والقيام بدور حيوي في الحياة المعاصرة، ووضع الأطر المناسبة لمناهج الشريعة الإسلامية [1]، إن استشهاد زكي الميلاد بالفقه الإسلامي من بين العلوم الأخرى إنما يقصد بذلك الدلالة على أن ميدان العلوم الإسلامية لا يقوم على أساس النقل وحرمة مؤلفات الأقدمين كما يتصور البعض، وإنما تقوم على أساس الاجتهاد وفهم متغيرات العصر كي تتفاعل مع هذه المتغيرات بإيجابية .

كما سبق وأشرنا فإن الفقه يلعب دور كبير في حياة المسلم المعاصرة، ذلك أنه يعتمد على الاجتهاد في القضايا الفقهية، وذلك بانجاز دراسات حول المشكلات الفقهية التي تواجه الفرد المسلم مثل مسألة الضمان الاجتماعي والتأمين، وبعض العقود المستحدثة في البيع والشراء، فهذه وأمثالها من القضايا الجديدة، مما أصبح يشكل تحدياً حقيقياً، وهذا ما جعل ضرورة تصدر العلماء لمواجهته بتوجيه البحوث الفقهية لسد الثغرة والوقوف على بابها، إنه يجب على الفكر الإسلامي اليوم أن يقدم بحوثاً تحمل تصورات واجتهادات جزئية أو كلية في المشروع الإسلامي، وذلك بإنجاز دراسات حول قضية الخلافة، وكيفية تنصيب الحاكم ومسألة الانتخابات، والشورى ومجلس النواب أو البرلمان، إلى غير ذلك من قضايا الحكم والسياسة، وكذا مسألة العمل والعمال وتنظيم العلاقة بين أرباب العمل والدولة وقضايا الأجور الخاصة والعامة[2] .

لقد شجع الإسلام الفرد المسلم على حرية الفكر وإعمال العقل، فقد فتح له المجال في مساحة واسعة تنتظم بتسخير الكون ومجالات الحياة المختلفة كالعلوم والفنون والآداب وفقه النفس الإنسانية والطاقات الإنسانية المختلفة، وفي استكشاف عظمة الله من خلال تدبيراته في الكون والنفس، وبالتالي استخلاص القوانين الطبيعية والاجتماعية، وكي يستطيع المسلم فهم مجتمعه وخدمته بما يتناسب معه، وجب معرفة الأسس الفكرية والضوابط الأخلاقية، والنظم المالية والقضائية والتجارية والسياسية، وأهم المؤسسات

[1] الميلاد زكي، الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات، ط 1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2012م، ص 113 .

[2] فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية ، ط 1، منشورات الفرقان ، الدار البيضاء، 1997م، ص ص 164 165 .

العلمية، ودور العلم ومقرراته ومناهجه والقيم الموجهة له ومقاصده التربوية في حركة الحضارة، لأن الحضارة الإسلامية هي حضارة متفتحة وقادرة على مواجهة التحديات وتغيير أدوار الفاعلية بين أبنائها[1].

لطالما كانت الحضارة الإسلامية مشروعاً حضارياً قائماً على التجديد الفكري الذي يرفض الجمود والتقليد الموروث عن عصور التراجع الحضاري، وتفريط دعاة التقليد للنموذج الغربي، ومنه نتأكد من حتمية الاجتهاد و حرية الفكر الإسلامي كضرورة لليقظة الإسلامية المعاصرة، والذي به نستعيد فعالية المنابع الجوهرية واليقظة للإسلام بعد إزاحة البدع التي أُلصقت بها، وهو أداة تنمية العقلانية الإسلامية المؤمنة القادرة على فقه الأحكام والواقع وعقدا القران بينهما[2]، فالإسلام ليس دين المثالية المتجرد من الحقائق الواقعية بمختلف تفرعاتها، وإنما دين يفهم الواقع بمختلف تطوراتها، ومنه نستخرج جميع حلول المشاكل التي تواجه المسلمين في جميع المجالات.

إنه يجب علينا اليوم إعادة النظر في تركيبة الفكر الإسلامي المنهجية، إذ أنه غير مبني على أصول محددة علمياً، ولا على قواعد منضبطة ومؤصلة، لذلك فقد ابتلي بالاستلاب اللاشعوري سواءً على مستوى الفكر أو على مستوى المناهج، لذا وجب اقتراح أصول لتقويمه وتأصيل مناهجه لتوجيه البحث العلمي فيه الوجهة الصحيحة، ولتأصيل مناهج البحث في العلوم الشرعية يجب أن يكون بالاستنباط منها نفسها، وذلك بتجديد واختراع ما هي بحاجة إليه وهو ليس فيها، وبإصلاح ما يجوز من غيرها حتى تكون لدينا مناهجنا الخاصة، وتتضح رؤيتنا إليها بالدرس والتقويم والإضافة والتجديد، ولا يبقى بعد ذلك عالة على الدرس المنهجي العربي في كل بحث يقوم به [3].

[1] عبد الحليم عويس، (2009م)، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية (رؤية حضارية)، ط 1، مكتبة الشروق الدولية، د ب، 2009م، ص ص 96 194 .

[2] محمد عمارة ، هل الإسلام هو الحل – لماذا و كيف، ط 2، دار الشروق، القاهرة ، 1998م، ص ص 58 61 .

[3] - فريد الأنصاري، المرجع السابق، ص ص 168 169 .

خاتمة:

يعتبر العقل من المنح العظيمة التي كرم بها الله الإنسان، إذْ به يستطيع خدمة نفسه ومن يحيط به، وإذا عطله ساءت أحواله، وأصبح رهينة أفكار الغير، والمسلمون لما أعطوا للعقل حقه في القرون الأولى وفتحوا باب الاجتهاد وحرية الفكر في إطار الضوابط التي يسمح بها الدين الإسلامي وصلوا إلى أعلى مراتب الحضارة الإنسانية، وأصبحوا نموذج يُقتدى به ويُأخذ منه، وبتقادم الزمن أُهمل دور حرية الفكر لدى غالبية المسلمين في العصر الحديث فسقطوا في آفة التقليد الأعمى للسلف وللنموذج الغربي، وهذا ما كان له آثار سلبية على واقع المسلمين، وتَداركاً لهذا الوضع ظهر مجموعة من المفكرين والعلماء المسلمين الذين دعوا إلى ضرورة إطلاق العنان للعقل وحرية الفكر في الإطار الذي يستطيع من خلاله المسلم خدمة نفسه والإنسانية جمعاء، وانطلاقا من كل ما سبق ذكره نستنتج:

1- أن الفكر الإسلامي في العصر الحديث كانت الصفة الغالبة فيه هي تعطيل العقل الإسلامي وتثبيطه، نتيجة الأفكار السائدة المغلوطة التي كانت تُروج بأن استعمال العقل مناقض للنقل، وأن ما على الأمة اليوم إلا اتباع واقتفاء أثر السلف كونها السبيل الذي أقر الرسول ﷺ بخيريته .

2- سبب سوء فهم الدور الحقيقي للعقل الإسلامي ناتج عن أمرين، الأمر الأول رأي بعض العلماء والمفكرين لتراث السلف من منطلق الحرمة والتقديس التي تقتضي التسليم والانقياد دون استعمال العقل فيه، والموقف الثاني وهو سوء استعماله من بعض الفرق والمفكرين الذي استخدموه في مواضع تقتضي الانقياد للنصوص .

3- تسببت آفة التقليد الأعمى في تخلف العالم الإسلامي، إذْ بقى جامداً على المفاهيم القديمة بل وحاول العيش في الحاضر بمفاهيم الماضي دون إدراك التغير الحاصل في كل مجالات الحياة، ودون أن يدرك أن تلك النصوص التي كان متشبثاً بها تدعوا إلى قراءة الواقع بشكل أكثر تفتحاً وبما يعود بالنفع على الأمة.

4 - يرجع السبب الرئيسي لظهور تيار يدعوا لتقليد النموذج الغربي إلى الانبهار بمنجزات الحضارة الغربية، في مقابل احتقار النفس والتسليم بعدم قدرة الفكر الإسلامي على تحقيق النهضة والتقدم .

5 - من محاسن حرية الفكر وإطلاق العنان للعقل الإسلامي، هو أننا نضمن كفاءات قادرة على الإنتاج العلمي في ظل التطور المستمر في مناحي الحياة المختلفة، سواء في الاقتصاد بحيث نجد كفاءات تُنظر وتطرح الحلول المناسبة لترقية المستوى المعيشي للفرد المسلم بحيث تكون هذه الحلول نابعة من الواقع المعاش وتحترم الذات الإسلامية، وعلى المستوى العلمي نكون قادرين على خلق كفاءات تُوْجِدْ مناهج تعليمية ملائمة لروح العصر وقادرة على إنشاء جيل يحمل هذه الجينات الفكرية، وعلى المستوى السياسي نجد نظريات سياسية إسلامية تُنظر للواقع السياسي الإسلامي وتطرح البدائل المناسبة للتطور والتقدم وعلى المستوى الاجتماعي كذلك تخلق لنا مجتمعاً متفتحاً على الآخر وغير منسلخ عن هويته وتراثه، إلى غير ذلك من مجالات الحياة المختلفة.

وقد خرجنا انطلاقاً من بحثنا هذا بالتوصيات الآتية :

1 – إن إهمال دور العقل وحرية الفكر في التعاطي مع مختلف القضايا المستجدة يساهم في الوقوع في التقليد الأعمى، لذا وجب إلزاماً تفعيل دوره والاقتناع بأنه وسيلة مهمة لمسايرة مختلف التغيرات الحاصلة في الساحة الإسلامية .

2 – توظيف الفكر الإسلامي في إعادة قراءة التراث وتجديده وفق متغيرات العصر مع الحفاظ على أصله وجوهره، وعندما نقول التراث فإن القرآن الكريم والسنة النبوية لا تدخل ضمن التراث لأنها وحي رباني غير قابل للتأويل .

3 – إن التأكيد على أهمية إطلاق العنان للعقل الإسلامي ولحرية الفكر لا يعني الخروج والتمرد عن الأطر العامة والرئيسية للفكر الإسلامي، وإنما القصد إعطاء المساحة الكافية للتفكير والإبداع داخل المجال الذي تسمح به خصوصية الإسلام .

4 – ضرورة الاعتدال في التعاطي مع التقليد ومع حرية الفكر فليس كل التقليد شر على الفكر الإسلامي كما أن إطلاق العنان للفكر الإسلامي ليس كله خير على الأمة الإسلامية.

قائمة المصادروالمراجع:

القرآن الكريم

1- الأنصاري فريد، أبجديات البحث في العلوم الشرعية ، ط 1، الدار البيضاء، منشورات الفرقان ، 1997م .

2 - إقبال محمد، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ترجمة محمد يوسف عدس، د ط، مصر، مكتبة الإسكندرية، 2011م

3 - أبو وافية سمير فضل الله، الفكر الإسلامي يرد على المستشرقين، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2006م .

4 - الحافظة علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798م - 1914م الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، د ط، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، 1987م .

5 - الطهطاوي رفاعة، المرشد الأمين للبنين والبنات، د ط، القاهرة، مكتبة الإسكندرية، 1433 ه / 2011 م .

6 - الكواكبي عبد الرحمان، أم القرى، د ط، مصر، المطبعة المصرية بالأزهر، 1350ه / 1931م .

7 - كيتا جاكاريجا، مناهج التربية الإسلامية ودورها في ترسيخ قيم الوسطية لدى طلبة المرحلة الثانوية، مجلة دراسات وأبحاث، د مج، ع 02، 2007م .

8 - الميلاد زكي، الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات، ط 1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2012م .

9 - ابن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 5، القاهرة، دار الفكر للنشر والتوزيع 1986م .

10- نور الدين حديد، أزمة النهضة العربية وسؤال المرجعية - من لحظة التأزم إلى لحظة الوعي والاستفاقة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 09، ع 02، 2020م .

11 - السيد أحمد لطفي، تأملات في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع، د ط، جمهورية مصر العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012 م .

12 - أبو سلمان عبد المجيد أحمد، أزمة العقل المسلم، د ط، د ب، دار الهادي، 2003م .

13 - ابن عاشور محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، ط 1 القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م .

14 - عبده محمد، الإسلام بين العلم والمدنية، د ط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م .

15- عويس عبد الحليم، (2009م)، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية (رؤية حضارية)، ط 1، د ب، مكتبة الشروق الدولية، 2009م .

16 – بن عدة عبد المجيد، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925 م- 1954م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2004- 2005م .

17- عمارة محمد، (1990م)، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، د ط، القاهرة، دار الشرق الأوسط للنشر، 1990م .

18- عمارة محمد، تيارات الفكر الإسلامي، ط2، القاهرة، دار الشروق، 1997م .

19 - عمارة محمد، هل الإسلام هو الحل – لماذا و كيف، ط 2، القاهرة، دار الشروق،1998م .

20- عمارة محمد، المنهج الإصلاحي لمحمد عبده، القاهرة، مكتبة الإسكندرية، 2005م .

21 - عمارة محمد، الإصلاح بالإسلام معالم المشروع الحضاري للإمام محمد عبده، ط 1، القاهرة، نهضة مصر، 2006م

22 - العيساوي أحمد، الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر التحديات الداخلية والخارجية، مجلة الإحياء، د مج، ع 01، 1998م .

23- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ط 1، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م .